سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (٢٥)

المنهجية في طلب العلم

لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

الشيخ لم يراجع التفريغ







00966558883286

YouTube/alshuwayer9

alshuwayer9

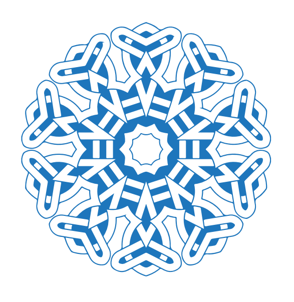
للإعلام بالأخطاء الطِّباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ



المنهجية في طلب العلم



لفضيلة الشيخ الدكتور
عبد السلام بن محمد الشويعر

النسخة الأولى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى أثره واستنَّ بسنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أيها الإخوة الكرام- فأحمد الله عَزَّوَجَلَّ على إنعامه وإفضاله جَلَّوَعَلَا إذ جمعنا في هذا المكان لنتذاكر شيئًا من العلم، فإنَّ العلم من أعظم القربات إلى الله عَزَّوَجَلَّ وقد ثبت عن مطرف بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه **قال**: «**فَضْلُ عِلْمٍ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ**» وذلك حق فإنَّ العلم فضله عظيم وأجره عند الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أجر بيِّن كبير، لذلك فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ اختصَّ أهل العلم بأن جعل لهم منزلة عالية وجعلهم في مرتبة لا يدانيهم فيها أحد من الخلق كما قال ربنا جَلَّوَعَلَا: ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾[**آل عمران**: ١٨] فقرن الله عَزَّوَجَلَّ بذاته الشريفة القدسية أهل العلم وما ذاك إلَّا بما اتصفوا به من وصف عظيم وهو العلم، وقد بيَّن الله عَزَّوَجَلَّ أنَّ الله يرفع المؤمنين العارفين به جَلَّوَعَلَا ومن أعظم بل أعظم ما ورد في فضل أهل العلم ما ثبت في صحيح البخاري من حديث حميد بن عبد الرحمن الطويل عن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قام في المسلمين خطيبًا **فقال**: أيها المسلمون سمعت النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **يقول**: «**مَنْ يُرِدْ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» وقد جاء في رواية عند أبي يعلى الموصل في «**المسند**» وجود إسنادها الحاكم ابن حجر حيث المعنى وإلَّا فإنَّ في إسنادها رجلٌ ضعيف وهو أبو الوليد الموقر أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قال**: «**وَمَنْ لَمْ يَفْقَهْ فَلَا خَيْرَ فِيهِ**» وهذا من مفهوم المخالفة

للحديث الأوَّل، **المقصــود**: أنَّ العلم من أعظم الدرجات التي ينال بها من أعظم الأعمال التي يرتفع بها العبد عند الله عَزَّوَجَلَّ درجات ويكون في منزلةٍ عالية وقد كان بعض أهل العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **يقول**: «إنِّي لأقدم على الله عَزَّوَجَلَّ وما لي من عملٍ أرجو به إثابةً عنده جَلَّوَعَلَا إلَّا تعلم هذا العلم» وقد كان الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى يبذلون الغالي والنفيس لأجل تحصــيل هذا العلم ولا شــكَّ أنَّ الحديث في فضــل العلم ومكانة أهله حديث طويل ولو لم يكن فيه إلَّا ما دُوِّن وأراد المرء أن يقرأه في كتاب حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر – عليه رحمة الله – «**جامع بيان العلم وفضـــله**» لكفى في ذلك، ولكن حديثنا في هذا اليوم وهو حديث مختصر إذ يقول الإخوة أنه لا يجاوز النصف ساعة سيكون عن «**المنهجية في طلب العلم**».

–أيها الإخوة– إنَّ العلم الشرعي كما قلنا أنَّه علم فاضل ولكن كم من مُريد هدفًا معينًا لا يوفقه الله، لذلك فإنَّ من توفيق الله عَزَّوَجَلَّ للشـــخص أن يوفق للطريق الموثق لتحصــيل العلم فكثير من الناس يتعب بدنه ويقضـــي وقته لتحصــيل غاية لكنه لا ينالها، لذلك يقول أيوب الســـختياني وهو أحد التابعين كما روى عنه يعقوب بن ســـفيان الفســـوي في كتاب «**المعرفة والتاريخ**» بإسناد صحيح أنه **قال**: «إنَّ من نعمة الله عَزَّوَجَلَّ على الحدث والأعجمي إذا أسـلم أن يوفَّق لشـيخٍ من أهل السـنَّة يدله على العلم الصـحيح»، أن يوفق المرء للطريق الصـــحيح في طلب العلم وأن يدَلَّ عليه فهذه هي النعمة العظيمة، وقد اســـتدلَّ بعض أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى بما ثبت في الصـــحيح من حديث أبي هريرة وبنحوه من حديث أبي الدرداء أنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓ آلِهِۦوَسَلَّمَ **قال**: «**مَنْ سَـــلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَـــهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» **قالوا**: فإنَّ «**طَرِيقًا**» هي نكرة والنكرة في مقام الإثبات عند بعض أهل العلم تفيد العموم ممَّا يدلُّنا على أنَّ للعلم طرائق ووسـائل مختلفة تختلف باختلاف الأشـخاص

وباختلاف الأحوال وباختلاف الأزمان ففي زمان اســتجدَّ من طرائق تحصــيل العلم ما لم يستجد عند الأوائل، فالدراسة في المدارس النظامية والطريقة الحديثة في البحث وغير ذلك هي من وســائل العلم التي ربَّما لم تكن بهذه الهيأة عند الأوائل وهي طريق من طرق العلم ولا شكَّ.

۞ قبل أن أتكلم عن طريقة أو «المنهجية في طلب العلم» لابدَّ للمرء أن يعرف أمورًا:

۞ **الأمر الأوَّل**: أنَّ من أعظم الوسـائل المعينة على تحصـيل العلم إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ وهذا أمرٌ مهم فإنَّ إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ يجعل المرء يثاب على تحصــيل العلم أولاً، ثمَّ يوفق الله عَزَّوَجَلَّ ذلك المرء بسبب إخلاصه لله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

ومن المسـائل المشـكلة على كثير من الإخوان عندما يقول كيف أخلص النية في طلب العلم؟ وهذه المسـألة ليسـت مشـكلةً على أهل زماننا بل حتَّى على الأئمة قبل فقد ذكر ابن مفلح في كتاب «**الآداب الشــرعية**» أنَّ أبا بكر المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى ســأل الإمام أحمد كيف يكون الإخلاص في طلب العلم؟ **يعني**: ما هي النية التي أنويها إذا نويتها كنت مخلصًا في طلب العلم **فقال الإمام أحمد**: «أن تنوي بالعلم نفي الجهل عن نفســك»، أمَّا أن تعلم الآخرون فهي مرحلة بعد ربَّما يصل المرء إليها وربَّما لا يصل فإنَّه من المسلَّم عند الفقهاء والعلماء جميعـًا أنه ليس لكلِّ أحدٍ أن ينقل كلَّ ما علم فإنَّ الفقهاء عندما قســموا أنفســهم إلى طبقات فابن كمال باشا من فقهاء الحنفية قسم طبقات الفقهاء إلى نحو من ثلاثين طبقة والمشهور من طريقة الشـافعية والحنابلة أنه يقسـم الفقهاء إلى إحدى عشر طبقة، فمن كان في أدنى درجات هذه الطبقات لا يحق له حتَّى نقل العلم لأنَّه ما زال في أوائل مراحله.

إذن: النية المقصودة هو أن ينوي المرء نفي الجهل عن نفسه فإن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ فنال نصيبًا من العلم ورُزِق فهمًا وحسن إدراكٍ للعلم فإنَّه ينقله ويعلِّم غيره ويكون داعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ على بصيرة ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [**يوسف: ١٠٨**] **قال أهل العلم**: «وفي هذه الآية دليلٌ على أنَّ أعظم الناس اتباعًا للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ هم العالمون بسنته إذ الله عَزَّوَجَلَّ بيَّن أنَّ الدعوة تكون على بصيرة ومن اتبع النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذلك وقد ثبت من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُوَرِّثُونَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا يُوَرِّثُونَ الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ**»».

إذن: **المقصود**: نعود بالأمر إلى الأوَّل وهو أنَّ من أعظم الوسائل أن يخلص المرء نيته لله عَزَّوَجَلَّ وأن يحذر أن تدخل في نيته دغل أو زيغ ومن أعظم الزيغ أن ينوي المرء بعلمه مباراة العلماء ومجادلة السفهاء، وقد كان **الإمام مالك** رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى **يقول**: «إنَّ من قصد بعلمه مماراة العلماء ومجادلة السفهاء فقد هلك »لأنَّ المقصود هو نفي الجهل عن نفس المرء ثمَّ التعليم وليس المباراة وأن يتقدَّم عند الناس وأن يتصدَّر، ومن أعجب ما رُوي في ذلك أنَّ الأيمة رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وأنا سهلت الهمزة وهي قراءة نافع المدني وهي نطق القرشيين حذف الهمزة الأيمة هي الأئمة، إنَّ الأئمة المتقدمين من أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كانوا يعرضون عن التقدم في العلم وأن يكونوا متصدرين فروى أبو الشَّيخ الأصبهاني في «**طبقات علماء أصبهان**» بإسنادٍ صحيح أنَّ سفيان بن عيينة المكي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى جلس في حلقته في المسجد الحرام فوجد الناس قد اجتمعوا حوله حلقات فما كان منه إلَّا أن أطرق رأسه ولم يتحدث ذلك اليوم ساعات ثمَّ رفع رأسه **وقال**:

سـدت الرجال وكنت غير مسود ومن الشقاء تفردي بالسؤدد

وكان **الإمام أحمد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **يقول**: «إنِّي رجل بليت بالشهرة» **يقول ابن رجب**: فكان أحمد يحرص على أن يأخذ طريقًا غير الطريق الذي عُرِف فيه وما ذاك منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى إلَّا إعراضًا عن التقدُّم وعن أن يكون متصدرًا بعلمه، ويقول ابن رجب تعليقًا على ذلك: «فانظر إلى حال أبي عبد الله كيف أنه أعرض عن الشهرة فتبعته حتَّى أصبح أحد الأئمة الأربعة المتبوعين فلا يذكر اسمه إلَّا مقرونًا بالإمامة كحال إخوانه الأئمة الأربعة – رحمة الله على الجميع –».

فالمقصود: أنَّ المرء من ألزم ما يحرص عليه أن يخلص النية لله عَزَّوَجَلَّ ومن أعظم الآثار أن يترك المرء العلم خشية الوقوع في الرياء ومن القواعد المقرَّرة عند أهل العلم أن فعل الفعل لأجل الناس رياء والرياء ممحق بذات العمل وحده وتركه لأجلهم شرك ولذلك لا نترك العمل لأجل الناس لا نتركها اعمل وجاهد نفسك في أن تخلص لله عَزَّوَجَلَّ وقد جاء عن ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنَّه **قال**: «طلبنا العلم لغير الله عَزَّوَجَلَّ فأبى الله عَزَّوَجَلَّ إلَّا أن يكون له»، فالمرء كلَّما ازداد علمًا كلَّما ازداد خشية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: **﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] قال الحسن البصري**: «ورُوي عن ابن مسعود مرفوعًا «**إنَّمَا الْعِلْمُ الْخِشْيَةَ**»» وكلَّما ازداد المرء علمًا كلَّما ازدادت الخشية، هذه ستأتي بعد قليل إذا أردت أن تعرف أنَّك على طريقٍ صحيح أم ليس بصحيح فانظر هل زادك العلم خشيةً وتقى لله عَزَّوَجَلَّ أم العلم الذي تعلمته جعلك تتبع الرخص وتبحث عن مزالق العلماء وزلاتهم وتبحث عمَّا تترخص فيه، فإن كان الأوَّل فاعلم أنَّك قد هديت فزادك خشية وزادك تقى

وعبادةً لله عَزَّوَجَلَّ وإن كان الثاني فإنَّك تحتاج إلى مراجعة نفسك وسيأتي إن كان في الوقت فسحة.

إذن: هذا هو الأمر الأوَّل **أي**: المرء بالإخلاص لله عَزَّوَجَلَّ وهنا كلمة جليلة **للفضيل بن عياض** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **يقول**: «إنَّ إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص»، المرء دائمًا يحتاج أن يراجع نفسه وأن يراجع نيته وأن يراجع أن يلوم نفسه وخاصةً في جانب إخلاص العبادة لله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **الأمر الثاني**: في مسألة العلم: أن يُعنى المرء بأن يسأل الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق للعلم وقد جاء في صفات عباد الرحمن جَلَّ وَعَلَا أنَّهم يدعون الله عَزَّوَجَلَّ **فيقول**: ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ [**الفرقان**: ٧٤] كانوا بعض السلف لا يدع صلاةً إلَّا وذكر فيها هذا الدعاء ﴿**رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ جاء عن بعض أهل العلم أنَّ إمامة الدين تكون بتحصيل العلم، فأنت تدعو الله عَزَّوَجَلَّ بأن يرزقك العلم ولا يخفى أنَّ كثيراً من الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى شربوا ماء زمزم ليُرزقوا علمًا أو حفظًا أو فهمًا فالخطيب البغدادي والحافظ ابن حجر والسخاوي وغيرهم من المتقدِّمون والمتأخرون شربوا ماء زمزم وجعلوا الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقوا علمًا نافعًا، قد ثبت في «**صحيح مسلم**» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ **النبيَّ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ**» **إذن**: أن يسأل المرء الله عَزَّوَجَلَّ التوفيق في العلم والسداد فيه هذه نعمةٌ عظيمةٌ جداً يحرص المرء عليها.

۞ **الأمر الثالث**: أن يعنى المرء بسلوك طريق أهل العلم، فإنَّ أهل العلم قد تتابعوا من

قرونٍ كثيرة أربعة عشر قرنًا وتزيد على سلوك مسالك معينة في طلب العلم فيستفيد المرء من طريق الأوائل ويجمع ما جمعوه ويزيد عليه ولا يحرص على أن يذم الأوائل فإنَّ من ذمَّ الأوائل لم يكن على هدى فإنَّ بعض الناس لا يوفَّق للهدى في العلم وإنَّما يبدأ علمه بالمنقصة بفلان وفلان وهذا على خلاف طريقة السلف، فإنَّ أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى كانوا إذا أخذوا من أحدٍ علمًا نسبوه إليه وترحموا عليه، وجاء عن رزق الله التميمي – عليه رحمة الله تَعَالَى – أنَّه **قال**: «يقبح بكم أن تستفيدوا منَّا ولا تترحموا علينا»، فمن بركة العلم أن تترحم على من استفدت منه وأن تنسبه إليه، وقد جاء في مقدمة تفسير أبي عبد الله القرطبي في «**جامع أحكام القرآن**» أنَّه نقل عن بعض السلف **فقال**: «إنَّ من بركة العلم أن ينسب إلى أهله ويُترحم على قائله» فنعرف المتقدم فضله ونعرف له مكان وما بذله من جهدٍ ومن وقتٍ في تحصيل العلم فنأخذ ما عنده ونستفيد به من نعيم.

أيضًا من طرق أهل العلم الاستفادة من وسائلهم ومن الأبيات الشعرية المشهورة قول أبي هلال العسكري ونقل عن غيره أنه **قال**:

أَخِي لَنْ تَنَالَ العِلْمَ إِلّا بِسِتَّةٍ ... سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانِ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ ... وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ

هذه الأمور الستة سأتكلم عنها على سبيل الإيجاز والاختصار لأنَّ الوقت أوشك على الانتهاء ما بقي إلَّا عشر دقائق أو نحوه:

❁ **الأمر الأوَّل**: من هذه الأمور الستة **الذكاء** هذا من الله عَزَّوَجَلَّ يُعطاه الشخص ويُحرمه الآخر، والذكاء نسبي يجب أن نعلم أنَّ الذكاء نسبي فما كان عند امرئٍ ذكاءً في

الحفظ يكون عند الآخر ذكاءً في الفهم لذلك نقل عن الرازي الطبيب قد لا يسلم في الطب الحديث لكن يقوله فقط الطبيب **يقول**: أنَّ الشخص لا يمكن أن يجمع إلَّا في النادر بين الحفظ وبين الفهم **يقول**: لأنَّ الحفظ يحتاج إلى يبوسة في الذهن، هذا كلام طبيب الرازي والفهم يحتاج إلى رطوبة في الذهن وقلَّ ما يجتمعان، وهناك **بيت المتنبي المشهور** أنَّه: قَلَّ مَا يَجْتَمِعُ الْحِفْظُ وَالْفَهْمُ عِنْدَ امرئٍ.

فإن كان المرء عنده نقصٌ في أحد الأمرين الحفظ والفهم فلا يظن في نفسه أنَّه محروم من كلِّ العلم بل إنَّه ربَّما فاته بابٌ من أبواب العلم فيدركه في غيره.

إذن: الذكاء أمر نسبي فيكون عند شخص حفظًا ويكون عند آخر فهمًا ويكون عند أحدهم تميزًا في باب الحديث وعلومه والآخر في استنباط من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفهم فنونه وآخر في علوم اللغة وثالث في علوم الفقه ونحو ذلك، إذا فاتك شيءٌ لم تستطعه فجاوزه بما تستطيعه فإنَّ الأمور تختلف.

❁ **الأمر الثاني**: **قالوا**: الحرص؛ لابدَّ من الحرص وقد جاء عن مجاهد كما في «**صحيح مسلم**» يخالف معلقًا: «لا ينال العلم مستح ولا مستكبر»، لابدَّ من الحرص على العلم ومن لم يحرص على العلم فإنَّه لا يناله، وقد جاء عن أهل العلم أنَّهم **قالوا**: «إنَّ العلم إن أعطيته كلَّك – هذا قاله محمد بن شهاب الزهري – أعطاك بعضه، -إن أعطيته كلَّ شيءٍ أصبت به وقتك وجهدك وعمرك- وإن أخذته جملة **أي**: مرَّةً واحدة ذهب منك جملة، وإن أخذته جملة ذهب منك جملة».

إذن: العلم يحتاج إلى ثني ركب وإلى إطالة جلوس وإلى سهر ليالي لا ينال العلم

مســتح ولا مســتكبر. **إذن**: لابدَّ من الحرص على العلم "ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاِجتِهَادٌ" لابدَّ من المصابرة والمجاهدة أن يجاهد المرء على نفسه في طلب العلم والصبر عليه والحفظ يقول **أبو هلال العسـكري** في كتاب «**الفتح**» على العلم نفسـه **يقول**: «إنَّني في فترة من حياتي كنت أجاهد نفسـي على حفظ عشـر أبيات في الليلة في أوَّل أمري **يقول**: فتروضــت على طلب العلم فأصـبحت أحفظ القصـيدة وفيها المئين من الأبيات في ليلة»، **إذن**: العلم يحتاج إلى مصابرة، أوَّل العلم يحتاج إلى تعب وفيه بذل للوقت ثمَّ مع الأيام ومع مرورها يصبح العلم لذيذًا على الناس.

۞ **وهنا مسـألة لعلي أخرج بها قليلاً ثمَّ سـأعود إلى الأمور السـت**، إنَّ للعلم لذة في النفوس لا تعادلها لذة، وقد ذكر **اليافعي** في كتابه «**مرآة الجنان**» اليافعي من علماء اليمن ذكر في كتابه «**مرآة الجنان**» **قال**: «إنَّني لأحس بلذة في العلم فأتفكر أحيانـًا **وأقول**: إنِّي لأخشى أن تكون قد عجلت لنا ثمرة أعمالنا في الدنيا»، الصَّحابة – رضوان الله عليهم – لمَّا فتحت عليهم الدنيا **قالوا**: خشـينا أن نكون قد عجلت لنا ثمرة أعمالنا في الدنيا لمَّا رأوا من ثمرة الدنيا يقول اليافعي: إنِّي لأجد في العلم لذةً أخشى أن تكون هي تعجيل العمل الصالح الذي فعلته في الدنيا فلا أؤجر عليه يوم القيامة وما ذاك إلَّا من اللذة العظيمة التي يتحصـل عليها المرء عندما يعتاد ويرتاض على العلم، ومن النكت ما نقله الغزي – عليه رحمة الله تَعَالَى – أبي عبد الله [..] المالكي أحد الفقهاء في المغرب أنَّه سُـئِل لماذا كثر التأليف والتصـنيف في أمَّة محمَّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المسـلمين؟ **فقال**: هذا هو حكمة تحريم الخمر انتهى، فعلَّق الغزي أو غيره **قال**: فالخمر لذة والعلم لذة، فحرِّم على المسـلمين الخمر فكان انصـراف علمائهم للتأليف والعلم فكانت لذته عندهم موازية للذة شـرب الخمر عند

غيرهم وهذا حق وقد أدركت من المشايخ من **يقول**: إنِّي لأتحسر إذا طلع الفجر أريد أن الليل يزيد ساعة لماذا؟ لسهره في طلب العلم ومراجعة مسائل أخرى وكان أبو نصر بن الصبار كبار فقهاء الشافعية صاحب كتاب «**الشامل**» كان يقول: لأن أبيت ليلة في مذاكرة مسألة أحب إلي من قيام الليل لِما أعلم من نفعٍ في هذه المسألة.

إذن: الأمور الست ثمَّ "ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ" البلغة من الله عَزَّوَجَلَّ والتوفيق منه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ وحده فهو المسدِّد وهو الذي يرزق المرء علمًا ويوفقه عليه، والمرء إذا دعا الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزق البُلغة والعلم النافع فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يرزقه.

"وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ" العلم الشرعي يؤخذ بالتلقي وخصوصًا العلوم التي تكون بذات ألفاظ القرآن فإنه لابدَّ من أخذه بالتلقي على الأشياخ وقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن **عبد الله بن المبارك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى أنه **قال**: «الإسناد من الدين فإن قيل عمن بقي».

وهنا فائدة: فقهاء الشافعية يذكرون خصائص أمَّة محمَّد في كتاب «**النكاح**» فقبل يتكلموا عن أحكام النكاح يذكرون خصائص أمَّة محمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأنَّ من خصائصه -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أنَّه تزوج تسعًا فمن باب الاستطراد يذكرون خصائص الأمَّة في كتاب الله **قالوا**: ومن خصائص أمَّة محمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ أنَّ العلم عندهم لا يؤخذ من الصحف ومن الكتب وإنَّما يؤخذ عن الأشياخ لذلك قال بعض **أهل العلم المتقدمين**: فيما ثبت عن النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ في الصحيح عندما **قال**: إن من علامة آخر الزمان أن يقبض العلم وأنَّ العلم لا ينتزع من صدور الناس انتزاعًا وإنَّما يقبض بموت العلماء **قالوا**: في هذا الحديث دليلٌ على أنَّ العلم لا يؤخذ من الكتب إذ النبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ

قد ذكر أنَّ القلم ينتشــر في آخر الزمان والكتب تكثر عند الناس ومع ذلك حكم النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ برفع العلم بموت العلماء.

إذن: لابدَّ من الأخذ عن العلماء، من هو العالم الذي يؤخذ عنه؟ هناك صفات ذكرها أئمة العلم، العالم الذي يؤخذ عنه:

۞ **أوَّلها**: أن يكون ذا دين، وقد كان **الإمام البخاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى **قال**: إذا أردنا أن نأخذ عن شيخٍ علمًا نظرنا في دينه قبل أن ننظر في علمه.

۞ **الأمر الثاني**: أن يكون المرء معروفًا عند أهل العلم في علمه وقد كان الإمام مالك – عليه رحمة الله – إمام دار الهجرة ومن ضُــربت له أكباد الإبل لكي يؤخذ عن علمه كان يقول: «ما أفتيت حتَّى شــهد لي ســبعين معمما أنِّي أهل للفتوى» **يقول**: ابن ناصــر الدين الدمشــقي – عليه رحمة الله – **يقول**: «ولم يكن يتعمم في ذلك الزمان إلَّا فقيه» ولا يعرف الفضــل لأهله إلَّا أهله أهل العلم هم الذين يعرفون للعلم فضــلًا، وهنا مســألة أيضــًا وهذا الاســتطراد قد يكون عيبًا، هنا مســألة ذكرها الإمام الغزالي – عليه رحمة الله تَعَالَى – وتبعه **المتأخِّرون قالوا**: إنَّ الواجب على المجتهد أن ينظر بين الأدلة ويرجح ويصحِّح، والواجب على غير المجتهد من المقلدين كجلِّنا إن لم يكن كلُّنا هو النظر بين المجتهدين فينظر الأعلم والأورع فيأخذ بعلمه **بمعنى**: عندما أســمع فتويين أو قولين في مســألة فأي القولين آخذ؟ أنظر من الأعلى الأورع فآخذ من هذين الفتويين، وهذه ذكره **الإمام الغزالي** في كتاب «**المســتصــفى**» وفي كتابه [..] وكلاهما في أصــول الفقه ثمَّ تبعه أو تتابع عليه كثيرٌ من أهل العلم كالموفق وغيرهم.

"وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ" ممَّا يتعلَّق بصحبة الأستاذ ذكر أهل العلم أنَّ من بركة العلم أن يؤخذ العلم عن كبار السن، وقد ثبت بإسناد لا بأس به من حديث ابن عبَّاس ومن حديث ابن مسعود بنحوه أنَّ **النبيَّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ **قال**: «**لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنْ الْأَكَابِرِ**» **قال ابن مبارك**: «أكابر السن والعلم»، وكان الخطيب البغدادي كما في كتاب «**الفقيه والمتفقه**» وذكرها أيضًا بنصها في كتاب «**النصيحة**» ونقلها عن ابن قتيبة محمَّد بن مسلم بن قتيبة جاحظ أهل السنَّة كما يقول الشَّيخ تقي الدين في كتاب «**الأدب والمسائل**» **يقول**: «لا تأخذ شيء من علمك عن شاب حدث ولو كان مسند عصره وإمام وقته فإنَّ الشاب لا تؤمن عليه فتنة ولا يؤمن عليه الهوى»، ثمَّ **قال**: عليك الأخذ عن الأشياخ كبار السن فإنَّهم أهل خبرة وحكمة، وقد ذكر الرامهرمزي في «المحدِّث الفاصل» أنَّ أهل العلم كانوا يستحبون ألا يجلس المرء للتدريس حتَّى يبلغ أربعين سنة من عمره، فدلَّ ذلك على أنَّ قصد كبير السن أقرب للتوفيق والسداد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ.

" وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانِ" وهذه المسألة وهي طول الزمان من الأمور المهمة وهو أنَّ المرء يعلم أنَّ العلم لا ينال باليوم ولا اليومين ولا الثلاثة ولا الشهر ولا السنة بل لابدَّ له عملية تراكمية يتراكم بعض الشيء على بعضه حتَّى يحصل المرء على بغيته ويتحصل على ما أراد، وقد ذكرت لكم ما قال محمد بن شهاب الزهري ..شيخ الإمام مالك ومالك روى عنه وهذه تسمَّى رواية الأصاغر عن الأكابر ورواية الأكابر عن الأصاغر فإنَّ محمد بن شهاب روى عن مالك مع أنَّه من طبقة الشيوخ، وهنا نكتة فإنَّ **الإمام مالك** كان **يقول**: «ليت محمد بن شهاب لم يروي عني» لماذا؟ لأنَّه **قال**: روى **محمد بن شهاب الزهري قال**: حدَّثني مالك بن أنس الأصبحي مولاهم فجعله مولى له فقال: ليته ما روى عني

فجعلني مذمةً ولم يجعلني مولًى، شرف له أن يروي عنه شيخه محمد بن شهاب وهو إمام وقته ولا شكَّ [..].

المقصود: أنَّ **محمد بن شهاب** كان **يقول**: «العلم إن أخذته جملة ذهب منك جملة»، لا يمكن أن تنال العلم في شهر أو شهرين أو سنة أو سنتين، لذلك ممَّا يدلُّ على قلة علم بعض الناس أنَّه من يبدأ في طلب العلم يبدأ في التصحيح والتضعيف والترجيح، ويبدأ بالإنكار على الأكابر من أهل العلم المتقدِّمين وغيرهم وهذا دليلٌ على عدم استواء مقامه وقد كان الأثرم سُئل الأثرم ومن أصحاب الإمام أحمد لماذا أحمد دائمًا إذا سئل في كثيرٍ من المسائل **قالوا**: قد اختلف الفقهاء قالوا: كذا وقالوا: كذا ويسكت **قال**: لعلمه بالخلاف فكان يتورع، المرء كلَّما ازداد علمًا كلَّما ازداد ورعًا لله عَزَّوَجَلَّ وهذا مسلَّم، لذلك **يقول الإمام الشافعي** – عليه رحمة الله تَعَالَى –: «العلم أربعة أرباع وهي متفاوتة في الطول فالربع الأوَّل من أخذه ظنَّ أنَّه أعلم الناس، وما أكثرهم إذا أخذ الربع الأول ظنَّ أنَّه أعلم الناس، **قال**: فإذا أخذ الربع الثاني وهو أكثر من الربع الأوَّل عرف أنَّه يحتاج إلى علم زيادة **قال**: فإذا أخذ الربع الثالث علم أنَّ ما فاته أكثر بكثير ممَّا أدرك **قال**: وأمَّا الربع الرابع فلا يكاد أحد أن يملكه، لذلك للحافظ أبي رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمسة وتسعين رسالة رائعة رائقة في الخشية والعلم بنى هذه الرسالة على معنى واحد أنَّ المرء كلَّما ازداد علمًا ازداد خشيةً لله عَزَّوَجَلَّ وهذا محقق ويجب أن يركز عليه أنَّ المرء يجب أن يبتلي ويقيس مقدار علمه بمقدار عبادته لله عَزَّوَجَلَّ **يقول ابن مسعود** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كما عند الدارمي: «يجب على صاحب القرآن أن يعلم بليله إذا الناس نائمون ويعلم بصومه إذا الناس مفطرون ويعرف بسكوته وذكره لله عَزَّوَجَلَّ إذ الناس خائضون، وصاحب العلم يجب عليه أن يقيس علمه

بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ولا شكَّ أنَّ العبادة من العالم وطالب العلم أفضل من غيره وقد جاء في مسند إسناد لا بأس به من حديث عمار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه صلى صلاة فأسرع فيها ثمَّ **قال**: سمعت **النبيَّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ **يقول**: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُصَلِّي وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ** – أي من أجر صلاته – **إِلَّا نِصْفُهَا إِلَّا ثُلُثُهَا إِلَّا رُبْعُهَا إِلَّا خُمْسُهَا إِلَّا سُدْسُهَا إِلَّا سُبْعُهَا إِلَّا ثُمْنُهَا إِلا تُسْعُهَا إِلَّا عُشْرُهَا**» **قال أهل العلم**: وينقص الأجر ويكمل للمرء بحسب **أمرين**:

- بحسب إخلاصه لله عَزَّوَجَلَّ.

- وبحسب متابعته للنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ.

ولا تكون متابعته إلَّا بعلم، فأنت عندما تصلي تصف قدميك وتجعل لك هيئة في الصلاة هذه الهيئة ربَّما كنت معتادًا عليها فإن كنت فعلتها عن اتِّباعٍ للنبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلمٍ بها فإنَّك تؤجر أكثر من أجر من يعملها كعادة، تعوَّد على هذه الهيئة لكن أنت عرفت أنَّ هذه الهيئة إنَّما هي بناءً على سنة **مثلًا** عندما تضع يديك **مثلًا** على صدرك وتكون جعلت اليمنى على اليسرى وتعلم أنَّ من حديث وائل بن حجر أنه فعل ذلك أو مثلًا عندما تجعل أصابع رجليك إلى القبلة في السجود وهكذا وأنت تكون [..] بعد علم فأجرك يكون أعظم من أن يفعلها معتادًا وهكذا.

المقصود: أنَّ المرء يحرص وهذه هي ثمرة العلم على العمل وأمَّا **قول بعض الناس**: خذ علمي ولا يضرك تقصيري، هذا لا شكَّ من باب تواضع [..] المؤمن دائمًا يكثر عمله ولا يلوم نفسه فإنَّ الملامية طريقة ذمها أهل العلم، الملامية أن يقول: أنا عاصي أنا سيء أنا أنا، الملامين ذمها أهل العلم وجاء عن الأئمة الكبار ومنهم ابن الجنيد من أئمة السنَّة [..]

أنَّه ذمَّ الملامية وإنَّما تحقِّر عملك، نعم هذه هي طريقة أهل العلم تحقر عملك، نعم أنا قليل من عملي ولا شكَّ فإنَّ من أُعجِب بعمله فقد اغترَّ، لكن يجب على طالب العلم أن يكون ذا طاعة أن يكون سبَّاقًا للمساجد **يقول سعيد ابن المسيِّب** -عليه رحمة الله تَعَالَى -، وهنا فائدة يقول الذهبي أنَّ قوس العيد بن المسيِّب: سيَّبوني سيَّبهم الله **أي**: بالفتح [..] هذه لا تصحُّ عنه وإنَّما المحدِّثون قد أجمعوا على نقص اسمه على وزن اسمه "المسيَّب" وأما قول ابن المسيِّب فهذه لم يقلها المحدِّثون عنه وهم أعلم الناس به وأمَّا ما نقل عنه من تسمية نفسه بالمسيب **فقال**: أنَّ إسنادها عنه ضعيف، كان سعيد بن المسيِّب منذ أربعين سنة لم يؤذن المؤذن إلَّا وأنا في مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.

المقصود: أنَّ المرء يجب عليه أن يعنى بالعبادة فإنَّها أمر والعلم.

الحديث عن العلم طويل ومتشعب وأنا حقيقةً عندما قيل لي تحدث عن هذا الموضوع تذكرت بيت سحيم بن وثيل مولى بني الحسحاس حينما **قال**:

مَرَرْتُ عَلَى وَادِي السِّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَادِي السِّبَاعِ حِينَ يُظْلِمُ وَادِيًا

هذا الباب باب طويل باب متفرِّق الشعاب متنوع الفروع والحديث فيه طويل لكن نكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق وربَّما ما ذكرت نقلًا عن أهل العلم فلم آتي من كيسي بشيء وإنَّما قلت كلام أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى ونفعنا بعلومهم وجمعنا بهم في جنات النعيم وحشرنا مع أهل العلم والهدى والتوفيق للسنَّة وأسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزقنا العلم النافع والعمل صالح وأن يتولانا بهداه وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

وأنا أعتذر أولاً وأخيراً من مشايخنا الفضلاء إذ تكلمت بحضرتهم ولكن كما قال أهل العلم أنَّه يجوز تقدم المفضول مع وجود الفاضل وعقيدة أهل السنَّة أن إمامة المفضول مع وجود الفاضل صحيحة لأنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلَّى خلف أبي بكر وخلف عبد الرحمن بن عوف مما دلَّ على تقدُّم المفضول على الفاضل ولكن الإنسان يأتي بما عنده ربَّما وُجِد في النهر ما لا يوجد في البحر.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد،

وآله وصحبه أجمعين.

الأسئلة:

السؤال:..

الجواب: النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت عنه **قال:** «**أَنَا زَعِيمٌ ببَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَلَوْ كَانَ مُحِقًّا**» مجادلة العلماء تكون بالنظر في المسائل لا لقصد الوصول للحق وهذا فن وُجِد في القرن الرابع الهجري وما بعده وهو أن يجتمع الناس في المساجد ليتجادلوا لا للوصول للحق وإنَّما بقصد الغلبة، وأمَّا المذاكرة فإنَّها حسنة **قد ذكر أهل**

العلم أنَّ العلم له خمس درجات في تحصيله:

- أخذه عن الأشياخ من كان أعلى منك.

- والمذاكرة مع من كان في مستواك، يكون مقاربًا مع الأقران.

- والتعليم من كان دونك.

- ثمَّ البحث.

- والحفظ.

هذه خمس وسائل تكون لتحصيل العلم أمَّا السفهاء فإنَّ بعض الناس يجادل في العلم لا لقصد الخير وإنَّما لقصد إنقاص الدين، وقد جاء عن الإمام مالك أنَّه لمَّا أراد بعض الناس أن يناظره سد أذنيه وقال: ولا أناظرك ولا بربع كلمة.

السؤال:..

الجواب: لا شكَّ أنَّ المعاصي لها شؤم ومن أعظم شؤم المعاصي أنَّ المعصية تجلب أختها وتجرها، ومن أثر المعصية حرمان العلم، وقد جاء عن **بعض السلف** رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ تَعَالَى **قال:** إنَّني حُرِمت العلم أو علم كذا وأنسيت كذا بسبب نظرةٍ محرَّمة نظرتها. **يقول الإمام الشافعي:**

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ... فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الـمَعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الـعِلْمَ نُورٌ ... وَنُورُ اللَهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

يقول العلَّامة ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى كلامًا نفيسًا **يقول**: «إنَّ المرء إذا جمع بين العلم والتقى فذاك هو الكبريت الأحمر -أن تجد عالمًا عابدًا جمع العلم والتقى بكمالهما أو قريبًا من كمالهما فهذا مثل الكبريت الأحمر نادر الوجود- فإن وجدته فأعضض عليه بنواجذك واقبض عليه بكلتا يديك»، أن تجد عالمًا واسع العلم والاطلاع قد تجد لكنه ربَّما عنده تقصيرٌ في عبادة وأن تجد زاهدًا منقطع لله عَزَّوَجَلَّ ستجد ولكنه ربَّما عنده نقصٌ في علم أن تجد رجلًا بلغ المنزلتين العليين **يقول ابن القيِّم**: هذا قليل جداً في أهل الزمان وقلَّ ما يوجد عندهم فإذا وجدت شخصًا فاقبض عليه.

المقصود: أنَّ المعصية لها أثر في العلم ولا شكَّ لكنها لا تحرم [..].

السؤال:..

الجواب: **أبو بكر** المروذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَى سأل الإمام أحمد **قال**: الرجل يكون عنده الأيتام **يعني**: أبناءه أو أبنائهم هم تحت يده قال: يكون عنده الأيتام يسمعهم الحديث **قال**: لا، يقرئهم القرآن، **قال**: ثمَّ ماذا؟ **قال**: ثمَّ يسمعهم الحديث. **إذن**: أوَّل وأعظم وأجلُّ ما تصرف فيه الأوقات هو كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ويجب أن نعلم أنَّ العلم بكتاب الله عَزَّوَجَلَّ **أمورٌ ثلاثة**:

❁ **أوَّلها**: معرفة إعرابه وهذا هو أهمها وأوَّلها وقد جاء أنَّ أبا بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان يقوم في المسلمين ويقول: أيها المسلمين أعربوا القرآن ولا **أعني**: بإعراب القرآن معرفة المبتدأ من الخبر ولا الفاعل من المفعول ونحو ذلك وإنَّما المقصود بالإعراب نطقه نطقًا صحيحًا، فإخراج الحروف من مخارجها ومعرفة حركاته المرفوع يرفع والمخفوض

يخفض والمنصوب ينصب وهكذا هذا هو إعرابه وقد جاء أنَّ عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كان يضرب أبناءه على ترك الإعراب ولا يضربهم على ترك الحفظ ممَّا يدلُّ على أهمية معرفة إعراب القرآن وهو النطق الصحيح له.

۞ **الأمر الثاني**: أن يعنى المرء بحفظ آياتٍ منه والناس يختلفون فما كلُّ الناس يستطيع حفظ الكتاب كامل حتَّى إنَّ الصَّحابة – رضوان الله عليهم – لم يكن كلُّهم جامع للقرآن وهذا مسلَّم وإنَّما كان يجمعهم عددٌ منهم، فمعرفة آيات منه بحسب قدرة الشخص واستطاعته حسن، وقد جاء عن أبي داود وإن كان في إسناده مقال **قال**: لكن له شواهد بمعناه أنَّ **النبيَّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **قال**: «**إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ كَسَى وَالِدَيْهِ تَاجَ الْوَقَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ومن حفظ جزءًا من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حفظه الله في الدنيا والآخرة في الصحيح أنَّ **النبيَّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ **قال**: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَحْفَظُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ**» فريحها عند الناس طيِّب وطعمها عند الله عَزَّوَجَلَّ طيِّب **أي**: وثوابها عند الله عَزَّوَجَلَّ طيِّب، وقد جاء عن عكرمة كما عند الدارمي بإسنادٍ حسن **قال**: «**تَأَذَّنَ عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ إِلَّا يَخْرِفْ**» الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ عقل حافظ القرآن لأنَّه يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالحفظ كما تعلمون أنَّ في الترمذي بإسنادٍ حسن أنَّ **ابن عمر** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال**: «**كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **دَائِمًا اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا أَبَداً مَا أَبْقَيْتَنَا**» فمات **النبيُّ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ ممتعًا بأعضائه كلِّها.

۞ **الأمر الثالث**: أن يحرص المرء على معرفة معانيه، معاني هذا الكتاب العظيم ومعرفة معانيه بأربعة أنواع كما قال ابن عبَّاس ورواه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره

فمن معاني القرآن ما يُعرف بلسان العرب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] معرفة معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بمعنى عام أمَّا المعاني الدقيقة الفرق بين الحمد والشكر وغير ذلك هي مسألة أخرى فتقرأ باللسان الدارج عند الناس.

❁ **الأمر الثاني**: معرفة غريب اللغة فإنَّ من الألفاظ الغريبة في القرآن ما لا يُعرف إلَّا بمعرفة الغريب كما **قال ابن عبَّاس**: والله ما كنت أعرف ما معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ١] ما معنى فاطر؟ حتَّى اختصم لدي أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها قبله، فعرفت أنَّ فاطر **بمعنى**: شاق.

❁ **الأمر الثالث**: ما يعرف من كلام أهل العلم واستنباطهم بالدلالات لفظية مختلفة سواءً كانت دِلالة الإشارة دِلالة المنطوق دِلالة المفهوم بأنواعه اللقب والوصف والعدد وإلى آخره، دلائلة [..] من الخطاب وفحوى الخطاب وغير ذلك من الدلالات اللغوية التي يعرفها أهل العلم بناءً على أمور متراكبة قبلها وهذه أمثلة كثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وخصوصًا في باب الأحكام.

❁ **الأمر الرابع**: ما يزيد ما جاء به النقل من المغيِّبات ويجب أن يُعنى أنَّ المغيِّبات سواءً فيما كان فيما مضى أو ما سيأتي في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ فإنَّ الاجتهاد فيه ضيق بخلاف الأحكام، وأنت إذا نظرت في قول أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عندما سُئل عن قول ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] ما هو الأب؟ **قال**: أي سماء تظلني وأي أرض تقرني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم، **وعمر يقول**: ويح عمر وويح أبيه وأمه إن قال في كتاب الله ما لا يعلم، لماذا؟ لأنَّ الأبَّ هنا هي الجنة وهي من الأمور المغيِّبة فكأنهما تحرجا أن يقولا شيئًا من المغيِّبات

باجتهادهما إلَّا شيئًا قد جزم به معرفة لسان العرب أو عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المقصود: أنَّ هذه الأمور الأربعة يعنى بها لمعرفة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

۞ **والأمر الخامس**: ما اختصَّ الله بعلمه وقد يلزمه لبعض دون بعض وهذا يختلف بحسب تفصيل أهل العلم كما قال الله عَزَّوَجَلَّ في سورة آل عمران ﴿**مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**﴾ فالمتشابه بعضه **يعني**: يظهر لبعض الناس.

